البنك اللاربوي في الاسلام

محمد باقر الصدر

البنك اللاربوي في الإسلام

أطروحة للتعويض عن الربا ، ودراسة لكافة
أوجه نشاطات البنوك في ضوء الفقه الإسلامي

دار التعارف للمطبوعات

حُقُوق الطَّبع محفُوظة

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

المكتب : شارع سوريا - بناية درويش - الطابق الثالث
الإدارة والمعرض : حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية الحسنين
تلفون : ٨٣٧٨٥٧ - ٨٢٣٦٨٥
صندوق البريد : ٨٦٠١-١١ / ٦٤٣-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام
على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين

كلمـــة

بعد اليوم سوف لن يبقى الإسلام ثروة في صناديق .. ما دام أنسان اليوم قد بدأ يتفهم الثروة ويُحسُّ إليها بالحاجة .

في عصر ما قبل النهضة ، كـان الإنسان في شرقنا وغربهـم يبيساً يمتص ما لديه ، لا يظن في ما حوله ينابيع يمكن أن تروِّي فكره وتطَرِّي حياته .

وفي غمرة النهضة ، انطلق الإنسان يبني من عطائها وجـه الدنيا ، ويُطري لون الحياة .. حتى تمَّ له في سنين أن يقيم ما لم تستطعه أجياله المديده .. أو تتخيله .

لقد استطاع الإنسان أن يُعطي وجه حياته العجوز وجهاً تملؤه النُّضرة والفتوة حينما استطاع أن يجعل من وجهه الشاحب وجهاً تملؤه القوة والأمـل ..

وكانت جهوداً كبيرة جهـود الرحلة من أقصى السفح إلى أعلى القمة ، جهوداً اعتصرت العقـل والسواعـد ، ودَوَّخت الفضاء ، واستلَّت اللقمة من أفواه الكثيرين .. مما اقتضته مـن علم وعمل وتجربةٍ ومال .

وبعد غمرة النهضة ، وجهودها المضنية ، يقف إنسان اليوم في قمة منجزاته لِيتَنَسَّم الهواء .. فيُحس بالإختناق !

ما أعطى لحياته من كَدْح وبناء .. لم يقتل يبسها ، ولـم يُرطِّب نسماتهـا !

تكاد تطبق على الصدر تلك النسمات التي تحمل إليه جفاف جوع الملايين ، وجفاف عُرْي الملايين ، وجفاف قلق الملايين ، وجفاف رائحة الجثث الكثيرة التي عافتها الضَّواري ولم تَعف إنتاجها حضارته !!

أنَّى بالنسمة الندية وهواء الحياة في هذا العصر مختنقٌ برائحة الظلـم .

كذلك هو إنسان اليوم في صرحه الحضاريّ الحديث . لـم يجد له متنفساً في هذا الصرح .. ولم يعثر على نفسه .

* * *

وما بعد الضيق والضياع إلا أن يبحث الإنسان عن نفسـه في جديد ، وعن حياته في جديد .

هل سيستطيع الإنسان كما كافح يـأسه أن يكافح ضياعه ؟ وكما أعطى لحياته البناء أن يعطي لبنائه الحياة ؟

هل من جديد في تفسير الحياة وإدارتها وتَنْدِية هوائهـا .. يرُدُّ عليه منجزاته التائهة ، ونفسه المفقودة ؟

هنا يقول المطلعون على الإسلام : سيعثر الانسان على هذا الدين وسيجد نفسه في دفئه ، وحياته في أفقه .

سيعثر الإنسان على الاسلام : فلسفة حياة تستطيع أن تهضم حصيلته الجديدة من المعرفة فتمنهجها وتبلورها وتسندها .

سيعثر الإنسان على الاسلام : طريقة حياة تستطيع أن تستقطب تكنيته وآلاته فتطورها وتوجهها .

وفي ذلك لاجِدّة على الاسلام ولا استكثار . فتلك هي طبيعة رسالة الله في صيغتها الخالدة ، جديدة شاملة أصيلة ، مهما تمّ في الحياة وإنسانها من تغيير وتطوير .

طبيعة رسالة الله للإنسان أنها حكاية الوجود وطزيقة الحياة ، الوحيدة أبداً ، الجديدة دائماً .

إنه لا جديد في أن تملك الحقيقة الموضوعية في ذاتها إثبات ذاتها .. لا جديد على الإسلام أن يكون ضَالَّةَ الإنسان في القرن العشرين .. أو الستين . وإنما الجديد في الانسان أن يدع ضلالته ليجد ضالَّتَه ..

وهـذا مـا سيـتم للإنسان ولو بعد حين .

* * *

نعم ؛ أن يعودَ الانسان إلى ربه يتلقى منه منهجه وهداه ، وأن يعودَ الاسلام عقيدة الحياة وطريقة عيشها ويتبخر ما عداه ،

حتميةٌ ضاربة الجذور في أعماق الوجود ، مستشرفة الأغصان إلى مستقبله السعيد .

وهي حتميةٌ بدأ يفتح بابها للإنسان المعاصر إفلاس نهضته الحديثة ويبس حضارته الحديثة .

وهي كذلك حتميةٌ تتطلب الجهود الكبيره ما دامت حركةً كبيرةً في المحتوى العقلي والنفسي للإنسان .

ومن هنا كان وُعَاة الإسلام ودُعَاته أمام مسؤولية كبيرة وتاريخية .. مسؤولية تقضي بمضاعفة الجهود لهذا الدين من أجل أن نقيم من كلمة الله سبحانه مشعلا للإنسان في الوقت الذي بدأ يرى أن شموعه التي يرفعها لا تضيء .

ومَن أجدر من جامعاتنا العلمية كجامعة النجف والأزهر ودمشق والقرويين والزيتونة وعليكرة وقم وأمثالها بالنهوص بهذه المسؤولية وهي جامعات عاشت في مهد الاسلام وعاش الاسلام في مهدها .

إن على حملة الإسلام في هذه الحواضر وحملته في كل مكان من أرض الله أن يرتفعوا بجهودهم إلى مستوى العمل لرسالة الله سبحانه .

ومستوى العمل للعقيدة الالٰهية ، في هذا العصر ، أن يُنْظَر إلى أحدث ما بنَتْه العقيدة المادية من فلسفات ومناهج ثم تستَنْطق العقيدة الالٰهية لتأتي على تلك الفلسفات والمناهج وتقيم على أنقاضها صرح كلمة الله سبحانه .

ومع عِظَم المسؤولية عظيم أمل ..

أمل لا يستمد عمقه من حتمية الهدى فحسب ، بل ومن العطاء الفكريّ الاسلامي الذي توفق لتقديمه حملة الإسلام في العشرين سنة الأخيرة عطاء اضطر الكثيرين من مفكري العالم ومن الناس أن يعدلوا عن اعتبار الاسلام (ديناً) بمفهومهم عن الدين ويعتبروه رسالة حياة تملك الوقوف إلى جانب فلسفات الإنسان ونظمه الحديثة ، بل وتملك مقارعتها .

ومن أطرف ما نلاحظ من مفكري الحضارة الحديثة موقفهم حينما يرون عطاء إسلامياً يهزم ما بنوا من عقائد ، ويُفلِّس ما وضعوا من تشريع .. نراهم يقولون :

عبقريٌّ هذا المؤلف كيف استطاع أن يقيم من (الدين !) فلسفة حياة أو مذهب اقتصاد !

يستكثرون هذا الإبداع على دين الله .. فيضيفونه إلى واحد من عباد الله !

مع ذلك .. فهذا بداية تفهم للثروة وإحساس بالحاجة إليها .

وما بعد البداية أن يفهم أولاء أن قضية هذا الدين واقع حياتي كبير ، وأن العجائزية والأسطورة والكهنوت كضلال الإنسان كانت أستاراً دون الرؤية .. رؤية الحياة في هذا الدين .

وما بعد البداية أن يدرك الإنسان أن أُفق الرؤية إنما هـو في سطور كتاب يدعى القرآن ،وفي صفحـات أشخاص يدعـون محمداً وآلـه .

وحينئذ سوف لا يستكثر الإنسان إبداعاً من باحث وجده في دين الله فقدمه ولم يخترعه .. وسوف لا يستكثر الإنسان أن يوجد في دين الله الحلُّ لمشكلة الحياة الفلسفيـة ، والحلول لمشاكلها الإجتماعية .. لأنه سيدرك أن الباحث في الإسلام يغترف من تفسير للحياة من صانعِها ، وتشريع للحياة من خَبِيرها .

إنه ليس أعظم خدمة للبشرية المعذبة من أن نقدم لها كلمة الله سبحانه في مختلف مجالات حياتها ، وندعوها للسعادة في ظلها.

* * *

وكتاب (البنك اللاربوي في الاسلام) الذي يشرف مكتبتنا أن تقوم بنشره هو جزء من جهود جامعة النجف على يد أحد كبار فقهائها أعزه الله لتقديم كلمـة الله سبحانه في جانبيها الفلسفي والتشريعي على وضح من تطوُّر الفلسفة والتشريع الحديثين .

وفضل التسبيب في هذا البحث (للجنـة التحضير لبيت التمويل الكويتي) التي شكلت في وزارة الأوقاف لوضع نظام لبنك اسلامي لاربوي فوجهت السؤال بذلك إلى عدد من كبار الفقهاء ليكون نظام البنك المذكور على هُدى النظام المصرفي في الاسلام .

وإن مما يسعد حقاً أن مواجهتنا لمشاكل النظام الربوي وآثاره السيئة أصبحت تبعث فينا التفكير في تطبيق النظام المصرفي الإسلامي .

ومما يسعد أيضاً أن تتجاوب مع فكرة البنك اللاربوي بلدان اسلامية أخرى وتنوي إقامته حينما تتم تجربته في الكويت.

ذلك دليلٌ على أن أمتنا بدأت تتخذ الموقف الإيجابي من مشاكلها وتدرك أن في الإسلام ما يضمن لها الحياة الكريمة.

وليس أنفع في تعريف العالم بقدرة الإسلام على حل المشاكل الإجتماعية - بعد تقديمه بناءً فكرياً ومنهجاً كاملاً - من تقديم تجربة إسلامية حية .. في حقل صغير من الحياة أم كبير.

شكرنا لفقيه الاسلام المؤلف دام ظله على تفضله باجازتنا طبع هذا البحث.

وأملنا للبنك الإسلامي أن يشق طريقه ويثمر ثمارة في وسط النظام الربوي ليثبت جدارة الإسلام بإدارة وتطهير هذا الجانب من جوانب حياتنا الإقتصادية.

وأملنا بالله سبحانه أن يأخذ بيد القائمين عليه ويوفقهم

وأن يأخذ بيد أمتنا لتفهم إسلامها وتطبيقه وهو سبحانه الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثمة لحظات في حياة الإنسان يجد نفسه فيها فريسة للضياع والحيرة . .

وثمة لحظات يلفي نفسه فيها على غير هدى، مَسوقاً، مَقوداً بتيار يرمي به في متاهات خطيرة ويجرّه إلى مهاوٍ لا تحمد عقباها . . فإذا به إمَّعة ، تَبَعاً لغيره ، قد فَقَد رشده وضيّع هويته وانسلخ عن روحه انسلاخ الشاة الذبيحة عن جسدها المدمى . فهو وراء مَتْبوعِهِ ، حَذْوَكَ النعلَ بالنعل ، والقِذّة بالقذة ، فلو دَخَلَ جُحْر ضَبّ لدَخَلَ معه !

وليس ذلك إلاّ من باب العمى والعَمَهِ وقلة الحيلة والتدبير والتشبّه بالنعاج الجرباء الضالة . على أننا لا ننسى كذلك روح التواكل التي تصرف صاحبها عن الإبداع والتجديد ، أو عامل الجهل المشين الذي يمنع مَن ابتُليَ به من أن يعيَ هويته الحضارية ويدرك أبعاد تراثه الفكري الجليل .

وقد يهون الأمر إذا اقتصر هذا التقليد الأعمى على جوانب ثانوية غير ذات بال ، كالأمور التي تتعلق بالمظهر الخارجي والمأكل والملبس وسواها دون المساس بالجوهر . بيد أن المسألة تكتسب سمتاً خطيراً إذا كان ذلك يتعدى تلكم الحدود ويتجاوزها إلى شؤون جوهرية لصيقة بهوية الإنسان وعقيدته .

لقد « قلدنا » ـ غافلين سادرين ـ طيلة أحقاب مديدةٍ من الزمن أقواماً آخرين ومجتمعات أخرى لا تمتّ إلينا بصلة ، وحاكينا العديد من النظم والأنماط الفكرية والسياسية والحضارية الغريبة عنا ، وانجرفنا وراء تيارات عاتية لم تلبث أن أقلعتنا من جذورنا كما تُقتلع النبتة من منبتها الممرع لخصيب لتصفرّ وتذوي ولتغدو هشيماً تذروه الرياح .

نعم . . بعضنا لم يصمد في وجه المحنة ولم يثبِت وجوده وكينونته أمام التحدي الحضاري الشرس الذي واجهته أمتنا الإسلامية ، ولا سيما في الهزيع الأخير من القرن العشرين ، قرن التحديات وقرن مراجعة الحساب والعودة إلى الذات

وبعيداً عن الدخول في تفاصيل هذا الارتهان الفكري والإجتماعي ومفرداته ، يمكن القول بأن الإقتصاد هو أحد الميادين الحيوية التي شهدت ذروة التغلغل الغربي ، بحيث باتت إقتصاديات العالم الإسلامي رهينة السيطرة الأجنبية الضارية الجشعة .

فقد قامت ، في أعقاب الثورة الصناعية في الغرب ، أنماط فكرية وتنظيرات تتواءم وتتسق مع طبيعة المرحلة الإجتماعية السائدة . فكان أن تفتّقت أذهَان لفيف من أساطين الفكر والإقتصاد ـ في حمى البحث عن أسس « فلسفية » و « عقلانية » لما تمخضت عنه المجتمعات الغربية من انقلاب جذري ـ عن « قوالب » ومقولات فلسفية صاغوها في شكل مذاهب إقتصادية ، وكلها تصدر عن الفلسفة الوضعية التي تمثل تلك النظرة المبتسرة للعقل التي تجعل من العلم ـ بمعزل عن الحكمة والإيمان ـ غاية لِذاتِه . وهذا المفهوم الذي لا يضع في الحسبان أي تساؤل عن الهدف ولا عن الحدود والمُسَلّمات ، هذا المفهوم يهدد بدفع البشرية إلى الانتحار ـ كما يقول الفيلسوف الفرنسي المسلم رجا غارودي ـ .

وهكذا وُلدت مذاهب إقتصادية كان جُلّ همّها فلسفة الواقعِ الجديد وتقنينه وتزيينه في أعين الناس ، بكل ما ينطوي عليه من ثغرات ومخاطر :

فقد وضع آدم سميث مذهب « الاقتصاد الحر » الذي كان إيذاناً بولادة الرأسمالية كنظام إقتصادي وسياسي وإجتماعي . ووضع كارل ماركس بالإشتراك مع فريدريك انجلس مذهب الإقتصاد المقيد الذي تخضع كل مقدراته ومفرداته للدولة ، وهو المذهب الذي أرسى أسس النظام الإشتراكي ـ وبالتالي الشيوعي ـ .

ولكن أيّاً من هذين المذهبين لم يُوَفَّق في حل المشكلات المستعصية ولم يستجب للتطلعات الطامحة إلى إقامة موازين العدل والحرية والإخاء والمساواة الحقة . بالعكس ، لقد أفرز النظام الأول ـ في غمرة جشعه وسعيه إلى العثور على أسواق لتصريف بضائعه وعلى مواد أولية ـ أفرز النظام الاستعماري الكولونيالي ، كما أفرز ـ ضمن مساعيه المحمومة لإيجاد أيدٍ عاملة رخيصة ـ أفرز حملات الغزو الأمبريالية الرامية إلى « اصطياد » ملايين من الأفارقة وسَوْقهم أسرى مصفّدين في الأغلال ، إلى العواصم الرأسمالية الكبرى ، وشملت هذه الحملة حوالي مائة مليون أفريقي ، مات جُلّهم قبل الوصول ، وذلك نتيجة لسوء المعاملة . وهذا ما يفسر اليوم وجود ملايين الزنوج في القارة الجديدة أمريكا . بينما أفرز المذهب الثاني ـ أي الاشتراكية ـ صورة بشعة قاتمة للدكتاتورية (دكتاتورية البروليتاريا) ولقمع حرية الإنسان ومسخ آدميته ، وما الثورات والانتفاضات التى تشهدها بعض البلدان الإشتراكية اليوم كألمانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا إلا دليل صارخ على صحة ما نذهب إليه .

وقد تمخض عن المذهب الإقتصادي الحرّ ، نظامُ المصارف الذي يقوم على أساس الإيداع والاستثمار وتقديم القروض والإدخار والمضاربة . . الخ ، ولا يتم ذلك إلا بالتعامل بالربا . .

ورغم أن الربا مُحرّم في الإسلام : ﴿ وأحل اللَّهُ البيعَ وحَرَّمَ الربا ﴾ ـ البقرة : ٢٧٥ ـ فقد سارعت المجتمعات الإسلامية ـ طوعاً أو كرهاً ـ إلى تبني نظام البنوك الربوي وتطبيقه بين ظهرانيها ، وذلك بحجة وجود « فراغ » في

النظام الإقتصادي الإسلامي في هذا الصدد . .

وقد استمر هذا الوضع الشاذ ، حتى قيَّضَ الله للأمة مفكراً وعالماً وباحثاً وفقيهاً إسلامياً فذاً كبيراً مثل السيد محمد باقر الصدر . ليثبت للقاضي والداني أن الشريعة السماوية لم تُغْفِل شيئاً : ﴿ **ما فَرّطْنا في الكتاب من شيء** ﴾ ـ الأنعام : ٣١ ـ . فها هو يقدم للقراء ـ في ضوء التشريع الإسلامي وعلى هديه ـ أطروحة متكاملة للبنك الإسلامي الذي لا يتعامل بالربا ، ولكنه يقوم بالوظائف الإقتصادية والمالية المنوطة به على خير وجه .

فعسى أن تعيد هذه الأطروحة العملية الرشد إلى أبناء الأمة ـ وإقتصادييها على وجه الخصوص ـ ، وتساهم في إنقاذ البقية الباقية من إقتصاد المجتمع الإسلامي بعد أن عصفت به أيدي الخَراب الوافد الدخيل .

وأنه لمما يثلج الصدور أن يعرف العالَم بأن الإسلام قادر تماماً على حلّ أعقد المشكلات الإقتصادية والإجتماعية المعاصرة ، من خلال منهج متكامل يعم أثره ويسري دوره إلىٰ كل مرافق الحياة ومناحيها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
موقفنا من الأطروحة	٥
سياسة الأطروحة المقترحة	٨
المعالم الأساسية للسياسة المصرفية	١١
نظام البنك اللاربـــوى	١٥
الفصل الأول	
تنظيم علاقات البنك بالمودعين والمستثمرين ...	٢٠
الودائع الثابتة والمتحركة	٢٣
تنظيم علاقات البنك في مجال الودائع الثابتة — مفهوم المضاربة في الفقه الإسلامى — أعضاء المضاربة المقترحة — شروط الأعضاء ...	٢٥—٣٠
حقـــوق الأعضاء	
حقوق المودع — ضمان الوديعة — الدخل — ضمان الوديعة — قدرة المودع على سحب الوديعة	٣١—٤٠
حقـــوق البنك	٤٠—٤٨
حقـــوق المستثمر	٤٨
خطر تلاعب المستثمرين	٥٠
معرفة الأربـــاح وتوزيعهـــا	٥٣
حين يحس البنك بالحاجة إلى جذب الودائع ...	٦٢
ودائـــع التوفير	٦٤
الـــودائـــع المتحـــركة	٦٥

الموضـــوع	الصفحة
إلغاء العنصر الربوى من الفائدة	٦٨
ملاحظات عامة حول البنك اللاربوى	٧٥
الفصل الثـــاني	
تقسيم الوظائف الأساسية للبنـــوك	
القسم الأول الخدمات المصرفيـــة	
قبول الودائع المصرفية	٨٣
الودائع المتحركة والحساب الجارى	٨٥
فتح الحساب الجـــارى	٨٨
الإيـــداع في الحساب	٨٩
السحب من الحساب	٩١
الودائع الثابتة	٩٦
ودائع التوفير	٩٧
الـودائع الحقيقية	٩٨
توظيف البنك اللاربوى للأموال العاطلة	١٠١
التحصيل ــ تحصيل الشيكات	١٠٦
التحصيل المستنـــد	١١١
التحويل ــ عمليات التحويل الداخلى ــ التحويل المقـرن بـــدفع نقـــود ــ التحويل لأمره ــ التحويل إلى غير الدائن	١١٢—١١٩
تحصيل الكمبيالات	١١٩
قبول الكمبيالات والشيكات	١٢١
خدمات الأوراق المالية	١٢٣
الاكتتاب	١٢٧
خطابات الضمان ــ الخطابات النهائية ــ الخطابات الإبتـــدائية	١٢٨—١٣١

الموضوع	الصفحة
الإعتمادات المستندية	١٣١
تخـــزين البضائع	١٣٤
عمليات الصرف الخارجية (الكامبيو) ...	١٣٥
التطوير المصرفي لتأدية الديون والطلبات	
العملات الأجنبية ــ الحوالات المصرفية الصادرة ــ والواردة ــ الشيكات المصرفية ــ خطابات الإعتماد الشخصية	١٣٦ــ١٤٤
أحكام النقود في الصرف	
النقود الذهبية والفضية	١٤٧
النقود النائبة عن الذهب	١٤٩
النقود الورقية المتعهدة	١٤٩
الأوراق	١٥١
القسم الثاني من وظائف البنك	
تقـديم القروض والتسهيلات	١٥٣
خصم الأوراق التجارية	١٥٥
خصم الكمبيالة على أساس البيع	١٥٨
القسم الثالث من وظائف البنك	
الإستثمـــار	١٦١
المـــلاحق الفقهيـة	
الملحق (١) مناقشة التخريجات التي تحول الفائدة إلى كسب محلل ...	١٦٤
الملحق (٢) ضمان المستثمر لرأس المال ...	١٨٤
الملحق (٣) التخريج الفقهى لأرباح البنك من المضاربة	٢٠٥

الموضوع	الصفحة
الملحق (٤) التخريج الفقهى لبقاء رأس المال وحد أدنى من الربح لدى المستثمر	٢٠٩
الملحق (٥) فوائد الودائع الثابتة	٢١٠
الملحق (٦) التخريج الفقهى لتحصيل قيمة الشيك	٢١٥
الملحق (٧) العمولة على التحويل	٢٢١
الملحق (٨) العمولة على تحصيل الكمبيالة ...	٢٢٣
الملحق (٩) التخريج الفقهى لقبول البنك للكمبيالة	٢٣٠
الملحق (١٠) التخريج الفقهى لخطابات الضمان النهائية	٢٣٥
الملحق (١١) فوائد البنك عن بضائع المستوردين	٢٤٤
الملحق (١٢) التخريج الفقهى للعمولة على خطاب الإعتماد	٢٤٧